

تفريغ الدرس السابع عشر من مجالس شرح رياض الصالحين للحافظ النووي
-رحمه الله تعالى-

قال الشيخ محمود الشيخ -حفظه الله:-

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فهذا -إخوتي بارك الله فيكم- المجلس السابع عشر من مجالس شرح "رياض
الصالحين" للحافظ النووي -رحمه الله تعالى-، اليوم الباب الحادي عشر، هذا باب
يعني: كأنه يضع اليد على الجرح لطالب العلم، للمؤمن، للمسلم، لعمومه؛ لأننا نلمس
في أنفسنا التقصير، نجد ذلك واضحا: الكسل، العجز، الاستعجال، تفويت المصالح،
أشياء كثيرة، **باب المجاهدة**، أن تجاهد نفسك.

قال المؤلف -رحمه الله:- (باب في المجاهدة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:

69] المجاهدة أن تجاهد نفسك على طاعة الله، وأن تجاهد نفسك عن معصيته -
سبحانه جل في علاه-، أن تجاهد نفسك وأن تجاهد غيرك، ولعل أصعب الجهاد جهاد
النفس، أن تجاهد نفسك، كم نحتاج إلى مجاهدة النفس؟ كلنا تعرض له في حياته
طاعات ومعاص وأشياء كثيرة، إن كنت مقصرا في طاعة ما تذكّر أن الله -سبحانه
وتعالى- يقول لك: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} أنت
إبدا بمجاهدة نفسك، ثم بعد ذلك يهديك الله ويسر لك السبل، الطاعة في بدايتها تكون
صعبة تتكاسل عنها، ولكن إذا جاهدت نفسك تصبح من ألد الأشياء في حياتك ترك
المعصية يكون صعبا، خاصة إذا أدمنت فيه كشارب الدخان، والواقع في الأشياء الخبيثة،
وكل واحد يعرف نفسه، نسأل العظيم رب العرش العظيم أن يسترنا في الدنيا والآخرة،
وأن يتوب علينا، ويصلح قلوبنا، وأن يعيننا على طاعته، والبعد عن معصيته، إخوتي هذه
تحتاج إلى مجاهدة، قد ترى الأمر صعبا جدا أن تترك معصية تعودت عليها، وتظن أن

الأمر صار بعيد المنال لا يمكن تحقيقه، تظن أنك خلاص انتهى أمرك، أصبحت ضعيفا جدا مستسلما، تذكر أن تجاهد نفسك حتى الآن في هذه اللحظة، لا تظن أن الأمر صار صعبا وانتهى الأمر وفات الأوان، لا، إنو بصدق، بيقين، أن الله يقول لك إذا جاهدت أهديك {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} اللام هذه واقعة في ماذا؟ واقعة في جواب قسم محذوف أي: والله لنهدينهم سبلنا، ماذا تريد أكثر من هذا؟ هذه اللام هذه للتأكيد واقعة في جواب قسم للتأكيد، تريد أكثر من ذلك؟ يقسم الله لك أنه سيهديك لما تريد، إن كان ترك هذه المعصية صعبا جدا إبدأ في تركها من الآن وثق بالله -سبحانه تعالى- ، كن على يقين الله سيبسر لك طرق الخلاص منها، ثم بعد إن كانت حبيبة إلى قلبك هذه الشهوة، هذه المعصية، هذا الدخان، أي شيء من الحرام، بعد أن يهديك الله وتصدق مع الله -سبحانه جل في علاه- بعد ذلك ستتحول هذه المعصية المحبوبة إلى شيء بغض لنفسك، بعض الناس يحب الحرام، يظن من نفسه أنه يتلذذ بالحرام أكثر حتى وإن لم يفعله، لكن تغلبه شهوته أن يحب الحرام أكثر من الحلال، هذا خلاف الفطرة لا يريدك الله هكذا، الأصل في الإنسان الموحد المسلم أن يكره ويبغض الحرام، طبعا نقول الأصل في الإنسان المسلم الموحد، لا يعني ذلك أنه إن لم يفعل ذلك فإنه ليس بمسلم ولا موحد، لا، أنا من باب الحث، أنك أيها المؤمن، فكلمة مسلم إذا أتت لوحدها يدخل في ذلك المؤمن؛ لأن محبة الحرام محبة في الشهوة، وليس من باب الاستحلال، هذا ينقص في الحسنات، أو يجعلك تقع في الحرام إن لم تتدارك نفسك، أو تبقى تفكر بالشهوة، وهذا خطر على عبادتك، وعلى قربك من الله ستجد بينك وبين الطاعة حاجزا من ذنوب ومعاص، وشهوات، وخطرات، ووساوس شيطانية، كلما فكرت بالحلال تجد الحرام يعرض أمامك فتقدم هذا على الأقل بالتفكير، وإذا ذهبت إلى الحلال لا تتلذذ فيه، لماذا؟ لأن القلب مريض بحب الحرام حتى وإن لم يفعل، انتبه القضية قضية شيطان يتلاعب، ونفس تهوى، وجسد يصدق، أو كذب إما بالعين، أو بالشم، أو بالسمع، أو باللسان، أو باليد، أو بالرجل، أو بالفرج: "زنا العين النظر"

أليس كذلك؟ "والفرج يصدق ذلك أو يكذّبه" في آخر الحديث، فلربما تجد الشخص لتلاعب الشيطان به، إذا يسر الله له الحلال لا يستلذ فيه؛ لأن القلب مريض، ماذا يحتاج هذا القلب؟ إلى علاج، كيف السبيل إلى العلاج؟ قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} سيكون الله معك إن أنت أحسنت إلى نفسك ومنعتها، وجاهدتها على ترك الحرام، والبعد عنه والاقتراب من الطاعات، جاهد نفسك، جاهد في أول الأمر، يكون صعبا، ثم ما يلبث أن تزول الصعوبة، ويهديك الله، ويتحول ما كنت تستصعبه إلى سهل جدا، إذا كان الطاعة فإنك معان عليها، وإذا كانت معصية فستبغضها وتتركها، ولا تعود تفكر فيها، ولكن ابدأ وجاهد نفسك: أولا بالإخلاص أصعب طاعة، وأخطر معصية الوقوع في نقيضها الشرك والرياء، قال النبي ﷺ: "من رآى رآى رآى الله به، ومَن سَمِعَ سَمِعَ الله به" علاجها صعب، تابع وتابع وتابع وراقب، وحاسب، جاهد نفسك على الطاعات، وعلى ترك المعاصي في بداية الأمر، قد ترى الأمر صعبا، ثم ما يلبث أن تزول الصعوبة؛ لأن الله قد وعدك مقسما أنه سيهديك {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}، سنذكر في الأحاديث أن هذه الدنيا زائلة "والجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات" حتى لو كان الأمر متعبا جاهد، إصبر كان النبي ﷺ يقوم حتى تنفطر قدماه، سنذكر بعض الأحاديث من ذلك.

قال المؤلف: وَقَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99] حتى لحظة الموت إلى عند الموت.

(وَقَالَ تَعَالَى: {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8]: أي انْقَطِعْ إِلَيْهِ، وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: 7]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا} [المزمل: 20]) هذا فيه الحث على عمل الخيرات.

(وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 273] هذه الآية {وَمَا

تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ينزع من ذلك ويستفاد من علم الله هنا: أن الله سيأجرك

على ذلك، ليس أن الله يريد أن يُعَلِّمَكَ أنه يعلم فقط، لا، كما في قوله تعالى في سورة

آل عمران {وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين} {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة،

ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين} تقول: {ولمّا يعلم} من باب أنه

لم يعلم، هو يعلم، ولكن هذا العلم ماذا يترتب عليه؟ هنا السؤال أي: هذا العلم الذي

يترتب عليه الأجر والمثوبة من الله، هذا معنى قوله تعالى هنا: {وما تفعلوا من خير فإن

الله به عليم} لا شك أن الله عليم، وما أراد الله إنه عليم فإنه عليم، ولكن لتعلم أنه ما

يترتب على فعلك الخير بما يعلمه الله - سبحانه وتعالى -، فإنه لن يذهب عليك سدى،

وستأخذ أجره، قال في الآية التي قبلها: {هو خيرا وأعظم أجرا}، طبعا هنالك مجاهدة

للنفس، وهنالك المجاهدة الثانية: مجاهدة الغير، ومجاهدة الغير كما قال الشيخ

العثيمين: "تنقسم إلى قسمين:

قسم بالعلم والبيان.

وقسم بالسلاح".

قسم بالعلم والبيان، مجاهدة المنافقين وأهل البدع ممن يظهر الإسلام، نجاهده

بالعلم، يا طالب العلم علينا أن نتحلى بالعلم، وأن يكون عندنا حظا من العلم، حتى إذا

جاءت الشبهات استطعنا أن نردها، أن نكون كما يقول الشيخ العثيمين - رحمه الله

تعالى - أن تكون راسخا قال: "فلا بد من علم راسخ" العلماء الراسخون هم الذين أصبح

العلم فيهم كأنه جبلة مجبولون على ذلك، ما تأتيهم شب إلا وفرّعوها على الأصول

والأدلة التي عندهم، فيخرجون بنتائج طيبة لا تمر عليهم بدعة، ولا تدخل فيهم شبهة

إلا وبينوها للناس، مجاهدة، وأنت منصور يا طالب العلم لماذا؟ {والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلها} الذي يجاهد بالعلم والبيان غيره من المنافقين وأهل البدع، وأهل

الخدلان = فإن الله ينصره ولكن عليه أن يتحلى بالسلاح: العلم والبيان بالدليل، من قال

الله، وقال رسول الله ﷺ، وقال الصحابة أولوا العرفان، كذلك مجاهدة غير المسلمين بالقتال، هذه الأرض لله -سبحانه تعالى-، لا يجوز أن تكون إلا للمؤمنين الطائعين من أهل الإسلام، ونحن مطلوب منا أن نعلي راية الإسلام، لماذا نقاتل؟ طبعاً لا نتكلم عن هذه الأيام، فنحن في ذلة وهوان، وهم يقتلوننا، ولا أقول: يقاتلوننا، بل: يقتلوننا أولئك، لكننا في الأصل مطلوب منا أن نعلي راية الإسلام، وكيف نعلي راية الإسلام؟ بأن يعزّ المسلمون، وكيف يكون ذلك؟ بطاعتهم لربهم، ولزوم أمره -سبحانه تعالى-، واتباع سنة نبيه ﷺ، والإعداد للقوة، وكل شيء نستطيع عليه حتى تكون الأرض طاهرة، والعزة للمسلمين، وهذا حق بل هذا واجب علينا، واحد يقول لماذا هذا؟ أتركوا الناس على ما هم عليه، طبعاً نقول في زماننا: هم يتركوننا فقط، ونحن الذين نعيش في ذلة، وفي قتل كما هو معروف، ولكن لو كنا في زمان عزتنا وسيرجع هذا الزمان -إن شاء الله-، لو كنا في زمان عزتنا وقال قائل لنا: أتركوا الناس لماذا تريدون قتالهم؟ نقول: لا، الأمر ليس لنا، نحن لا نريد شيئاً لأنفسنا، ليس الأمر متعلقاً بمصالح شخصية، وليست هذه أنانية نحن نريد أن تكون الكلمة لله، كلمة الله هي العليا هذا الذي نريده لذلك وجب علينا أن نقاتلهم، وكل من وقف في طريق المسلمين نقاتله حتى نجعل الدعاة يستطيعون أن يخوضوا في الناس ليوصلوا لهم الحق، ما أكثر الناس الذين لا يدخلون إلى الإسلام، ولا يعرفون الحق بسبب الموانع التي أمامهم من أهل الباطل، علينا أن نجاهد أهل الباطل بالبيان وباللسان وبالسنان حتى تفتح لنا الطرق وتمهد لنا السبل، ثم بعد ذلك يسهل علينا نقاش الناس، وهذا قد حصل عندما كان يفتح المسلمون البلاد، ويأتون بالأسارى من هناك أكثر الأسرى يدخلون في الإسلام بسهولة، بل يصبحون من أئمة الإسلام فيما بعد أو أبنائهم، لماذا؟ لأنهم مساكين يلبس عليهم أهل الباطل، اتبعوا سادتهم وكبرائهم فأضلّوهم السبيل، ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- أحاديث هذا الباب عدة، أحاديث حقيقة قد نقسمها إلى درسين.

قال المؤلف -رحمه الله-: (وأما الأحاديث: فالأول:) الحديث الخامس والتسعون،

قال: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:» هذا حديث قدسي حديث رواه البخاري - رحمه الله تعالى -، إسمع هذا الحديث ما أعظمه وما أطيبه.

(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) آذنته: أعلمته بأني محارب له من؟ أولياء الله هذا فيه إثبات أن لله أولياء والولاية لمن؟ من هم الأولياء؟ {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون} إذا كان مؤمنا في قلبه مصدقا بكل ما جاء عن ربه بلسان نبيه ﷺ، مؤمنا بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين واليوم [الآخر] والقدر خيره وشره، وكل شيء ذكره الله - سبحانه وتعالى - في كتابه، وصح عن نبيه ﷺ، يؤمن به ويفعل ما أمره الله به، من فعل الطاعات واجتناب المعاصي {الذين آمنوا وكانوا يتقون} أولئك أولياء الله - سبحانه وتعالى - كيف تنال الولاية؟ بالإيمان والتقوى من أين هذا؟ من قوله تعالى {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون}.

(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) يحارب الله لك، ومن أجلك لأنك ولي.

قال: (وما تقرب الي عبدي بشيء) الآن طرق تصل إلى هذه الولاية، بالإيمان والتقوى، أكثر شيء يقربك من الله ما هو؟ قال: (ما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) ما هو أكثر شيء يحبه الله ويقربك من الله؟ الفرائض، أكثر من النوافل؟ نعم الصلوات الخمس أفضل من قيام الليل؟ نعم تقربك أكثر؟ نعم هنالك أناس يقومون الليل، ويحسنون القيام ويطيلون ويخشعون ويتدبرون، ولكنهم لا يصلون الفجر = هذا ليس قريبا من الله، هذا ليس قريبا من الله، إذا أردت أن تتقرب إلى الله فعليك أن تتقرب إليه بالفرائض قبل النوافل، فإذا أتيت الفرائض؟ قال: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) هذه تزيدك قربا إلى الله ومحبة، وهذا في إثبات المحبة لله أن الله يحب محبة حقيقية، صفة المحبة تليق به ليس كمحبة المخلوق.

قال: (فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) يعني: يحفظك الله في سمعك، في بصرك، في يدك، في رجلك، فلا تسمع إلا الطيب، إسمع هذه الكلمة: قد يكون الإنسان مبتلى بسماع الأشياء الخبيثة مثل الأغاني، إذا تقرب إلى الله بالفرائض، ولا يزال يتقرب إلى الله بالنوافل، ويحبه الله - سبحانه تعالى -، يحفظه في سمعه إن كان يسمع الأغاني، يجاهد على تركها، فتصبح بغیضة لديه يحفظه الله في بصره، هنالك أناس مبتلون بالنظر إلى الأفلام القذرة، وإلى المسلسلات والأغاني، وإلى النساء، وإلى الحرام، إحفظ الله يحفظك في بصرك، تقرب إلى الله بالنوافل بعد أن تأتي الفرائض، وجاهد على أن تترك هذا الحرام يهديك الله - سبحانه تعالى - ويعينك، ويحفظ لك بصرك.

(ويده التي يبطش بها) إذا وقع بشيء، بفعل اليد، تقرب إلى الله يعينك الله، ورجله التي يمشي بها، لا تعود تمشي بالحرام، تكره ذلك إذا كنت وليا لله.

قال: (وإن سألني أعطيته) يصبح مجاب الدعوة بشروطها، الولي تستجاب دعوته. (ولئن استعاذني لأعيذنه) وإذا استعذت بالله واعتصمت به واحتميت به = يعيذك الله، فلا تعود تخاف شيئا؛ لذلك قال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}، هذه كلمة عامة لا خوف عليهم سواء في الدنيا أو في الآخرة لماذا؟ {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} لأن الله وليك، من الأولياء؟ {الذين آمنوا وكانوا يتقون}.

(رواه البخاري).

قال المؤلف: (أَدْنَتْهُ: أَعْلَمْتَهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ. «اسْتَعَاذَنِي» رُوي بالنون وبالباء) جاءت رواية: "استعاذني"، ولو نظرت إليها: "استعاذ بي"¹ يصلح ذلك.

قال المؤلف -رحمه الله-: (الثاني) وهو الحديث السادس والتسعون:

¹ لعلها: "استعان بي".

(عن أنس - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه - عز وجل -)

كذلك هذا الحديث الذي رواه البخاري أيضا ماذا؟ حديث قدسي، الأحاديث القدسية: هي التي يرويها النبي ﷺ عن ربّه، يقول: "فيما يرويه عن ربّه: يقول الله تعالى كذا"، وليست هي قرآنا يتلى، فالقرآن محفوظ بلفظه، فهذه لا يُشترط حفظ اللفظ بحروفها، بل ربما يزداد في ذلك ويُنقص، كذلك القرآن نتعبد إلى الله - سبحانه وتعالى - بتلاوته، والحديث القدسي لا نتعبد الله - سبحانه وتعالى - بتلاوته، وذكر العلماء فروقا بين القرآن الكريم والحديث القدسي، علما أن الأحاديث القدسية يوجد فيها أحاديث ضعيفة.

قال: (فيما يرويه عن ربّه - عز وجل - قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» رواه البخاري) تقرب إلى الله يتقرب منك أكثر.

فإذا تقربت إليه شبرا، أي: بالأعمال الصالحة = يتقرب إليك ضعف ذلك = ذراعا، وإذا تقربت إليه ذراعا تقرب منك باعا، وإذا أتيتك تمشي يأتيتك هرولة أي: يتقرب منك أكثر، ويعينك أكثر وتكون وليه أكثر وأكثر.

الحديث الذي بعده، الثالث السابع والتسعون:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ» رواه البخاري.

هذا الحديث عظيم الشأن في باب المجاهدة، يعني: أيها المؤمن، أيها الإنسان إذا كان عندك صحة فجاهد نفسك على الطاعة قبل المرض، وإذا كان عندك فراغ فجاهد نفسك على الطاعة قبل أن تشغل؛ لأن هذا مما يُحسد الناس عليه الصحة والفراغ كم من أناس ليس عندهم صحة فلا يقوون على قيام ليل، ولا يقوون على الذهاب إلى المساجد، ولا يقوون على صيام، ولا على حج ولا على عمرة، وكم من أناس يحبون أن يقول الليل، ولكن عندهم عمل في الصباح فيقعدهم، أو ينمهم عن قيام الليل، يتمنون أن يذهبوا إلى العمرة، ولكن الشغل وطلب الرزق يمنعهم، الصحة والفراغ مغبون بهما

الناس، وهذا فيه دليل على أن هنالك نعمًا أعظم من نعم، جاهد نفسك في الصحة والفراغ، قبل أن يفجأك الموت تقول: {ربي ارجعون} {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت} سبحان الله! الله المستعان! اللهم اغفر لنا في تقصيرنا في أوقاتنا، تذهب أعمارنا وأوقاتنا سدى، ونحن ننظر حولنا ولا نفعل شيئا.

الحديث الرابع، الثامن والتسعون:

(عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ) تتفطر يعني: تشقق من كثرة القيام، الله - سبحانه تعالى - ذكر في النبي قال: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} أحوال النبي ﷺ في القيام كان يقوم دون الثلثين بقليل وفوق النصف، وكان يقوم أحيانا النصف، وكان يقوم الثلث من الليل بحسب طاقته ووسعه ووقته إلى آخره، حتى تتفطر قدماه، كان يطيل القيام ويطيل الركوع، ويطيل السجود، وسنذكر بعد ذلك حديث ابن مسعود لما همّ بشيء؛ سوءا = يترك الصلاة، وقد صلى خلفه قيام ليل وصلى حذيفة - رضي الله تعالى عنه - خلفه، وراه يطيل الصلاة، كما سنذكر في بعض الأحاديث تتفطر قدماه من طول القيام، عائشة تنظر له مستغربة منه تقول: (فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟) يعني: الذي يحملنا على الطاعة، والطول فيها والإحسان فيها = أننا نريد أن يغفر الله لنا، فأنت يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر، جاءت أحاديث بأن الله من قال: سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه له مثل زبد البحر، وهنالك أحاديث فيها له ما تقدم من ذنبه، ولكن جاءت أحاديث وما تأخر من ذنبه، هذه تأخر الذنب هذه خاصة بالنبي ﷺ، وبالتالي يقول الشيخ العثيمين: "إذا رأيت لفظة فيها هذه الزيادة أعلم أنها ضعيفة"؛ لأن من خصائص النبي ﷺ، أنه قد غفر له ما تأخر من ذنبه، وليس هذا لأحد من أمته قد يغفر لنا ما تقدم، ولكن لا نضمن

ما تأخر، والنبى ﷺ بخصوصه قد غفر له ما تقدم وما تأخر، وعائشة تستغرب تفعل ما تفعل من قيام حتى تتفطر قدماك؟ وأنت مغفور لك جميع ذنبك فماذا رد؟
(قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»)) أنا أفعل ذلك من باب الشكر لله، أن يكون شاكرًا لله - سبحانه وتعالى -.

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، هَذَا لَفْظُ الْبَخَارِيِّ).

ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة) روي هذا الحديث عن عائشة، وروي عن المغيرة، وكنت أذكر رواية لم أرجع إليها صراحة عن زوجة غير عائشة - رضي الله تعالى عنها - وأظنها أظنها زينب والله تعالى أعلم.
الحديث الذي بعده، الحديث الخامس، وهو التاسع والتسعون:

عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
والمراد: العشر الأواخر من شهر رمضان. و «المِئْزَرُ»: الإزار، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ تَشْمِيرُهُ لِلْعِبَادَةِ، يُقَالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِئْزَرِي: أَيِ تَشَمَّرْتُ وَتَفَرَّغْتُ لَهُ

كان النبي ﷺ يقوم الليل كله في العشر الأخير من رمضان، يريد أن يدرك ليلة القدر طبعاً لا يعني ذلك أن كل وقته فيها كان صلاة، كان يتكلم مع الناس، وقد انقلب بصفية - رضي الله تعالى عنها - حتى يوصلها إلى البيت، وتكلم معها شيئاً في قصة عندما رآه اثنان من الصحابة فنادهما النبي ﷺ فقال: "إنها صفية" قالوا: أعليك يا رسول الله؟ قال: "نعم، أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، وهل الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم يدخل فيه؟ نعم، هذا الظاهر ولا يوجد مانع، بعض الذين ينكرون دخول الشيطان إلى الجسد يناقشون قالوا: لا، هذا لا يعقل، وكيف يدخل، أنت ما أدراك كيف يدخل وكيف يخرج، مخلوق هوائي، طبعاً هو من نار ودخان، من نار، ولكن طبعاً هو من مارج من نار، من دخان النار، فهو مثل الهواء، دخل فهذا الأمر، عقلاً يعقل، ولكن

حتى تقول يعقل أو لا يعقل، هل عندك دليل بالمنع أنت يا معترض؟ ما عندك وأنا عندي الظاهر ما هو الظاهر؟ "أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" على كل حال: ليس موضوعنا، الشاهد: أن النبي ﷺ كان يقوم العشر الأخير من رمضان، جاهد نفسك أيها المؤمن، طبعاً أنا أتكلم عنك يا مستمع، أنا والله أريد نفسي أكثر، لعلكم جميعاً أفضل مني في العبادات، الله المستعان! أسأل الله أن يغفر لنا جميعاً، والله نرجو الله أن يدخلنا الجنة بأعمالنا، ولكن برحمة منه وفضل، ونسأل الله أن يعيننا على طاعته.

الحديث السادس، حديث المئة:

يا سلام، وصلنا مئة حديث هل حفظنا المئة حديث؟ لو حفظنا المئة حديث لحصلنا خيراً عظيماً، هذا كتاب عظيم يا شباب، عظيم جداً.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ إِحْرَصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

سننهني بهذا الحديث هذا المجلس، ونكمل المجلس القادم بقية الأحاديث.

(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير في كل خير) الضعيف بماذا؟ القوي بماذا؟ بإيمانه وليس بعصاياته وفتلاته وبكثرة ماله، إنما بإيمانه لذلك قال: (المؤمن) هذا اللفظ فيه مناسبة: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، لكن النبي ﷺ احترز حتى لا يظن أن المؤمن الضعيف ليس محبوباً عند الله؛ لأنه عنده أصل الإيمان فهو محبوب، ولكن ليس مثل المؤمن القوي، فاحترز النبي ﷺ وقال: (وفي كل خير).

قال: (إحرص على ما ينفعك) من هو المؤمن القوي؟ الذي هو خير ويحبه الله أكثر من هو "إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز"، هو الحريص على ما ينفعه، هو المستعين بالله، الذي لا يعجز، أضرب مثلاً ذكره الشيخ العثيمين في طالب العلم الذي

يقرأ كتابا، فهذا حرص على ما ينفعه كتابا في الفقه، أو في العقيدة، أو في غيرها، هذا حريص على ما ينفعه، واستعان بالله، بدأ به وبدأ يقرأ، بعد شهر ترك هذا عجز، إذا كنت حقيقة مؤمنا قويا يا طالب العلم إحرص على ما ينفعك، مستعينا بالله غير عاجز كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من ماذا؟ من العجز ومن الكسل، أكمل الكتاب، أكمله حتى النهاية، لا تنتقل إلى غيره وتتركه، ذكر الشيخ العثيمين مسألة عظيمة مهمة جدا في هذا، ليس فقط في موضوع الكتاب، طبعا أناس يقرؤون شيئا من كتاب، ثم يتركونه يقرؤون كتابا آخر، ثم يتركون وينتقلون، تمضي عليهم السنون، ولم يحصلوا شيئا، وهذا موجود بكافة لا حول ولا قوة إلا بالله، لكن هنالك مسألة أخرى في نفس الكتاب، تريد أن تصل إلى معلومة، فتدخل فتعجبك معلومات، تقف في طريقك يا شيخ، صحيح هذه المعلومة التي أتت في طريقك مهمة، ولكن الأولى والأهم ومن باب الأول فالأول، والأهم فالأهم، والنبي ﷺ كان يفعل فالأهم أولويات، أنت لماذا فتحت هذا الكتاب؟ لتتحصل على المعلومة الفلانية، لا تنتقل إلى غيرها، لا تنظر إلى غيرها حتى تأخذها فإذا أخذتها واستفدتها تماما بعدها، إرجع لتلك المعلومات التي مرت بطريقك هكذا جيد، أما إن تأتي إلى المعلومة التي تريد من هذا الكتاب، فوجدت معلومة تظن أنها أجمل منها، ولربما تكون أجمل وأفضل، ولكن تنتقل تترك المعلومة الأولى، فتذهب إلى الثانية بعد قليل، ساعة أو ساعتين ترى نفسك نسيت لماذا دخلت لهذا الكتاب، ولم تحصل شيئا انتبه هذه مصائد يقع بها طالب العلم، وهذه مسألة ثانية صراحة كان يحذرنا منها شيخنا الرملي - حفظه الله تعالى - في قضية الكتب، وتحقيق الكتب، تجد بعض الناس يقرأ الكتاب، وتحتة حاشية، جيد الحاشية، مهمة، لكن لا تجعل الحاشية تشغلك عن الأصل، عن المتن الذي أنت بصدد، خاصة لمن يطولون الحواشي، بل تجد الكتاب حواشي، والمتن صغيرا جدا، تجده صغيرا جدا، وكأن المؤلف حشى كثيرا لماذا؟ الله المستعان! لا ندخل في النوايا، ولكن هذا موجود، بعض المحققين اليوم يحشي لماذا؟ تطلب منه ذلك دار الطباعة، تطلب منه ذلك حتى يكبر الكتاب، هذا حقيقة متعب لطالب العلم،

فيجد طالب العلم كتابا كبيرا جدا فيعرض عن شرائه، وإذا اشتراه يعرض عن قراءته ويتعب منه، لماذا؟ لأنه يراه كبيرا، ويرى كلام المتن هنا، وتحتة الحاشية كبيرة فيقرأ في الحاشية، ويتوه ويتعب، ثم ماذا؟ ثم لا يحصل شيئا، لذلك إفهم ماذا تريد، إحرص على ما ينفعك، أنا أردت هذا الكتاب، أريد هذا المتن، إن اضطررت أن أنظر إلى الحاشية بسرعة ولا أنشغل بها كثيرا، مثلا تخريج حديث يكفي أن يقال: رواه البخاري ومسلم، وشيئا قليلا من ذلك، ولكن لا تذهب وتأتي وتدخل في الطرق، وقال: فلان وفلان ضعيف، وفلان مجهول، وهذا تكلم فيه، هذا الكلام كله يضيع عليك الوقت، لا تستفيد منه كثيرا، لا تستفيد منه كثيرا انتبه إلى هذا، طيب بعد أن تحرص على ما ينفعك مستعينا بالله في كل شيء، ترى استعن بالله في كل شيء، في كل شيء استعن بالله، استحضر هذه النية؛ نية الاستعانة بالله، بعد أن تكون حريصا على ما ينفعك، مستعينا بالله غير عاجز، لربما يفوت عليك المطلوب، لا يقدر الله لك ما تريد، ماذا تقول؟ لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا، تندم أنك فعلت أو أنك قصرت.

قال: (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا) خلاص انتهى الأمر، احتج بالقدر في هذا الموطن، ولا تحتج بالقدر عند فعل المعصية، لا يحتج بالقدر على المعاصي، أو على المعايب، قال أهل العلم: "لا يحتج بالقدر على المعايب، إنما يحتج بالقدر على المصائب" فإذا وقع قدر الله سبحانه وتعالى - يقال بعد ذلك: (قل: قل: قَدَرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ).

لا (تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ) احتج بالقدر هنا حتى لا تندم، ولا تفتح عليك وساوس الشيطان، لذلك قال النبي ﷺ: (فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) من الندم، والوساوس، والقهر، والحزن... أترك هذا كله وقل: قَدَرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، لا يعني ذلك أن الإنسان يفعل المعصية ويقول: قَدَرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، كتب الله عليه ألا يصلي، لا يحتج بالقدر على المعائب، ولكن إذا وقع الذنب وأراد أن يتوب، ويأتيك الشيطان ويقول لك: لا تتوب، أنت مذنب.

فقل: قَدَّرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وتب، تب إلى الله، انتبه إلى هذه المعاني، ذكرها العلماء كثيرا فهي حقيقة عظيمة ومهمة ومفيدة.

نتوقف عند هذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.